

## تداخل الأجناس الأدبية من منظور النقد العربي القديم " القصة أنموذجا "

د. خديجة بصالح

أستاذة محاضرة قسم أ

المركز الجامعي بلحاج بوشعيب عين تموشنت

bessalahkhadija@hotmail.com



يعد التداخل الأجناسي القصصي صيغة من صيغ التفاعل المنتجة للنصوص، حيث أصبحت مسألة الأجناس الأدبية وطريقة التفكير فيها تندرج في قضية أشمل هي الكيفية التي تعتمدها كل ثقافة في تنظيم فضاءات منجزها الأدبي.

وإن كانت الدراسات النقدية قد حددت الجنس بمحددات رأت فيها تفسيراً لنشأته وتطوره، كما رأت فيها تفسيراً لانحساره واندثاره، من مثل المحدد المضموني، والمحدد الأسلوبي، ومحدد التلفظ، فإن المحدد الأجناسي الواحد بدا عاجزاً عن إعطاء التصنيف حقه من الضبط والحسم في جعل حدود بين أجناس الأدب لمنع التداخل بينها. وبالتالي أصبحت قضية الأجناسية تبرز طبيعة التفكير الإنشائي، وألوان التأليف الأدبي لدى شعب من الشعوب.

### Résumé:

Depuis des siècles, la littérature a connu des évolutions, des changements, et des interactions internes et externes en parrèle aux évolutions des sociétés arabes.

Des formes et des genres littéraires inspirés des littératures classique grâce aux influence et répercussions entres les textes littéraires et mêmes entres les arteurs, par intertextualité.

Quoique des études critique ont identifié les déterminants de genre en vu comme une explication des ses origines et de son évolution, tel que le déterminant de prononciation, et le déterminant stylistique...

Mais le déterminant de genre semblait incapable de donner un droit de classification des paramètres et des détermination a faïres les frontières entres les genres littéraire pour évites les chevauchants.



## مقدمة:

تتعلق مسألة الأجناس الأدبية بتصنيف الآثار الأدبية والنظر في تشكل تنس بعدد من النصوص المتألفة والمتخالفة أحيانا، كما أنها تبرز طبيعة التفكير الإنشائي، وألوان التأليف الأدبي لدى أمة من الأمم، وتفتح آفاق التفكير في طبيعة الحضارة لدى هذه الأمة.

وإذا كانت الدراسات النقدية قد حددت "الجنس" بمحددات رأت فيها تفسيراً لنشأته وتطوره، كما رأت فيها تفسيراً لانحساره واندثاره، من قبيل "المحدد البيولوجي، والمحدد المضموني، والمحدد الأسلوبي، ومحدد المشافهة والتدوين... ومحددات التلفظ"<sup>1</sup> فإن المحدد الأجناسي بدأ عاجزا عن إعطاء التصنيف حقه من الضبط والحسم في جعل حدود بين أجناس الأدب لمنع التداخل بينها، وبالتالي ارتأى الدارسون للأجناس محمدا موسعا اصطلاحا على تسميته مزيجا أجناسيا ونصا جامعا يعبر عن الاتساعية النصية وعن العبور الأجناسي Transge né rique حتى تأسس ما يسمى بالجامع النصي الأجناسي L'architextualité 'générique'<sup>2</sup>.

كما صارت مسألة الأجناس الأدبية وطريقة التفكير فيها تدرج في قضية أشمل هي الكيفية التي تعتمد عليها كل ثقافة في تنظيم فضاءات منحزها الإبداعي، مما جعلنا نتساءل هل عرفت الثقافة العربية تداخل الأجناس الأدبية؟ وهل تفتن النقاد العرب لهذه القضية؟

وبما أن الأدب العربي يحتوي على أجناس كثيرة سنقتصر الحديث عن جنس واحد ألا وهو "القصة" وبالتالي يكون سؤالنا بالصيغة التالية: هل عرف النقد العربي تداخل القصة مع الأجناس الأدبية الأخرى؟

## 1- مفهوم الأجناس الأدبية

إنّ الأجناس الأدبية تصنيفات معيارية وتنظيمية، تقوم على تقسيم النصوص الإبداعية استنادا على أدوات فنية - شكلية في الأغلب - هدفها

الأساسي تحديد هوية معينة للنص الإبداعي، والتي بدورها -أي الهوية - تساهم في تنظيم العملية الإبداعية من جهة، وتسهل عملية رصدتها ودراستها نقديا وتوقع تطوراتها المستقبلية من جهة أخرى.<sup>3</sup> وقد تكون هذه الأدوات الفنية المحددة للجنس الأدبي واضحة فاصلة مانعة، كما هو الحل في القصيدة الكلاسيكية، وقد تكون واسعة الأطياف وقابلة للنقاش كما هو الحل في الرواية الحديثة أو القصة القصيرة.

وعرفت الثقافة العربية منظومة أساسية للأجناس الأدبية، انقسمت في خطوطها الكبرى إلى نثر وشعر، وتضمنت في ترسيماتها وتقسيماتها الصغرى الشعر والقصة والخطابة والرسالة والوصية والحكمة والمثل والحديث والنادرة والطفرة والمقالة.<sup>4</sup> كما عرفت هذه الثقافة التفاعل بين هذه الأجناس جميعا. وتعد "القصة" واحدة من هذه الأجناس، ودخولها في الأجناس الأدبية الأخرى هو ممارسة تهدف إلى توسيع إمكانات هذه الأجناس، عبر استعانتها بتقنيات نوع أدبي ما، لإثراء بنية هذا الجنس المستعار له، كما هو علامة كاشفة عن سعي مبدعي هذه الأجناس إلى توسيع الآفاق الوجدانية والثقافية والاجتماعية له من ناحية، بما يجعل الأجناس أدبية قادرة على استيعاب المتغيرات الجديدة الناتجة عن تغيّر علاقات أفراد المجتمع بعالمهم، وإلى تطوير عناصرها الجمالية من ناحية أخرى.

## 2- النقد العربي القديم ومصطلح التداخل الأجناس

يتجلى تعامل النقد العربي القديم مع مصطلح "التداخل الأجناسي القصصي" في ثلاث دلالات أساسية، اتصلت أولها اتصالا مباشرا بظاهرة التداخل بين الأجناس الأدبية، إذ تشير إلى بناء النص الشعري على أساس الإفادة من واحد من الأنواع السردية، كالخبر والحكاية والقصة، مما يؤدي إلى إثراء النص الشعري، ويطرح على الشاعر تحديات جمالية، تتولد من محاولته إخضاع المادة المبلورة في صيغة سردية في إطار الشكل الشعري، بما يقوم عليه من عناصر تخيلية وإيقاعية، وهذه الدلالة تتصل من جهة ثانية بالدلالة المعجمية لفعل (قص) والتي في إحدى دلالاتها تتبع الأثر أي السير وراءه لكشفه، وكذلك الفعل (اقتص) فيه دلالة إحالة ف (اقتص

الحديث: رواه على وجهه) ولفظة "وجهه" تعني الإشارة الصريحة أو الضمنية إلى نص آخر- قام في سياقات أخرى- توضيحي يساهم في فك الإبهام على المتلقي. وقد وردت هذه الدلالة في كتب كل من أحمد أبي العباس ثعلب (200هـ- 291هـ) في كتابه "قواعد الشعر"، وابن طباطبا العلوي (ت 322هـ) في كتابه "عيار الشعر" والحاتمي (ت 388هـ) في كتابه الموسوم "حلية المحاضرة في صناعة الشعر وأنواعه"، وأبي هلال العسكري (ت 395هـ) في كتابه "الصناعتين"، وابن أبي الإصبع (585-654هـ) في كتابه "تحرير التحرير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن".<sup>5</sup> وقد ورد المصطلح بداله اللغوي ودلالته البنائية عند حازم القرطاجني (608-684هـ) في كتابه "منه اج البلغاء وسراج الأدباء".<sup>6</sup>

في حين تجلت الدلالة الثانية لمصطلح "التداخل الأجناسي" في "الإحالة" التي تقوم بما نص إلى نص آخر، وقد صيغت هذه الدلالة في إطار علوم القرآن، فقد ورد عند ابن فارس (329-395هـ) في كتابه "الصحاحي في فقه اللغة" وفيه عرف التداخل الأجناسي القصصي بأنه: "أن يكون كلام في سورة مقتصا من كلام في سورة أخرى أو في السورة نفسها".<sup>7</sup>

وقد استقرت دلالة المصطلح عند كل من الزركشي (745-794هـ) في كتابه "البرهان في علوم القرآن"، والسيوطي (849-911هـ) في كتابه "الإتقان في علوم القرآن"، إذ اعتبر عملية التداخل بين القصة والقرآن واحدة من بدائع القرآن.<sup>8</sup>

أما الدلالة الثالثة للمصطلح فقد انحرفت إلى الإشارة إلى بعض عناصر بناء الخطبة وسمات الأسلوب الملائم، ويتجلى ذلك عند ابن رشد (520 - 595هـ) في تلخيصه لكتاب "الخطابة" لأرسطو.<sup>9</sup> حيث يشرح -هذا الأخير- تداخل "القصة" مع بعض أنواع الخطب، فيضع مقاييسا وشروطا لإجادة توظيف القص، إذ وضع له مصطلحا معادلا وهو "الاقتصاص".

### 3- تجليات التداخل الأجناسي في أعمال النقاد القدماء

عالج النقاد العرب القدماء والمحدثين مسألة الصناعتين: الشعر والنثر، وطبيعة كل منهما وتداخل عناصر كل منهما مع الآخر، و وضعوا لذلك قواعد وشروحا. لقد ذهب التوحيدي إلى تبيان تداخل النثر بالشعر قائلا: "شقق الكلام بين ضروب النثر وأصناف النظم".<sup>10</sup> يرى الناقد أن تداخل الأجناس ليس فقط في شقق الكلام، بل في ضروبه وأصنافه ف "انسحاب ظل النظم على النثر ما يصير به النثر خفيفا حلوا، وانسحاب ظل النثر على النظم ما يصير به للشعر تميزا في الأشكال، وعدوية في المصادر والموارد، و ائتلافا في الوسائل".<sup>11</sup> إن الحديث طويل عن تداخل الشعر والخطابة، وتداخل الرسائل والقصة، وتداخل الرسائل والشعر، بل إن كل جنس لم يعرف فقط باستقلاله بل عرف من تفاعلاته.

إن الأبحاث التي عالجت التداخل الأجناسي ذكرت مسائل وقضايا بلاغية كثيرة منها: السرقات التي هي أقرب إلى التفكير التناسي، كما أوردت بعض المصطلحات التي استطاعت أن تنفذ إلى كنه عملية التفاعل النصي مثل: نشر المنظوم والاقْتباس، والتضمين، والاشتراك والنسخ...<sup>12</sup> وقد لا نجد من تصنيفاتهم كتاب إبداعي أو نقدي قدم يخلو من القصص والأخبار والأمثال والأشعار وآيات القرآن وأحاديث الرسول(ص). فقد رصعوا كتاباتهم بكل هذه الأنماط مما جعلهم يضعون مصطلحا للتعبير عن هذا التداخل النصي والأجناسي سمي "المرصع".

ومن تجليات مصطلح "التداخل الأجناسي القصصي" في نقدنا العربي القديم ما ورد في كتاب أبي العباس أحمد ثعلب (200-291هـ) الموسوم ب"قواعد الشعر"، حيث وجد أنها أربعة: (أمر، نهي، خبر، استخبار)، وجعلها أصولا تتفرع إلى: مدح وهجاء، ومراث، واعتذار، وتشبيب، وتشبيه، واقتصاص أخبار.<sup>13</sup>

إن المتعمق في قواعد الشعر التي وضعها ثعلب يجد أن اثنين منها كانتا تتعلقان بالأشكال السردية، وهما: (الخبر والاستخبار).<sup>14</sup>

—الخبر: مثل أحد أبرز الأشكال السردية في التراث القديم.

-الاستخبار: تدور دلالاته حول طلب السائل معرفة ما تتصل بشيء ما أو خبر ما.<sup>15</sup>

إن جواب المسؤول يكون خبرا متضمنا حكاية، أو خبرا سرديا. أما اقتصاص الأخبار، وهو ما يقابل اليوم "التداخل الأجناسي القصصي"، فقد وضعه الناقد ثعلب في إطار الفنون المختلفة كالمدح والهجاء. ويتضح لنا - هنا - وعي ثعلب المبكر لمسألة تداخل الجناس، فجعله "اقتصاص الأخبار" فرع لأصل هو الخبر أو الاستخبار، معنى ذلك أن القصة تدخل في عمليات تفاعل أجناسي على مستويات عديدة، فالخبر يبنى على السرد ويساق شعرا، والقصة هي رواية الخبر، أو الجواب عليه، وبالتالي يتضح لنا من النص الذي أدرجه الناقد اندماج العناصر السردية مع الأشكال السردية تارة، ومع الأشكال الشعرية تارة أخرى.

أما ابن طباطبا العلوي (ت322هـ) يرى في كتابه "عيار الشعر" أن التداخل الأجناسي القصصي نوع من الضرورات اللازمة للشاعر، لذا نجد يدعو معاصريه إلى التنقف بعناصر الثقافة العربية المختلفة، كما يحث الشاعر على ضرورة تعميق صلته بعنصر الحكايات، كعنصر مهم في العملية الإبداعية، كما انه عنصرا جماليا وليس عنصرا معرفيا فقط، إذ تقوم الحكاية بوظيفة جد مهمة في القصيدة من حيث قدرتها على التأثير على المتلقي، لأن الأشعار يمكن أن يقتصر فيها أمورا قائمة في النفوس والعقول، فيحسن الشاعر العبارة عنها، فيخرج ما كان دфина ويرز ما كان مكنونا.<sup>16</sup>

ربما كان السياق الشامل لورود مصطلح "التداخل الأجناسي القصصي" عند ابن طباطبا لما أطلق عليه "الآيات المتفاوتة النسج"، حيث نصح الشاعر الذي يقتص حكاية أو خبرا أن يحسن إدماجها، وديباجتها دون تعقيد، وأن يحسن متابعة العناصر السردية المتضمنة في المادة الحكائية التي يقوم باستلهاها، وفي ذلك يجب أن يتحلى بالصدق.

لقد أورد ابن طباطبا قصيدة الأعشى التي اقتص فيها خير السموءل، فوصف صياغتها باستواء الكلام وسهولة مخرجه، وتمام معانيه، وصدق الحكاية فيه، حيث نجده يقول في هذا الصدد: "وتأمل لطف الأعشى فيما حكاه واختصره في قوله: أقتل ابنك صبيرا أو تحيء به"، فأضمر ضمير الهاء في قوله: "واختار أذراعه أن لا يسب بها"، فتلافي بذلك الخلل بهذا الشرح، فاستغنى سامع هذه الأبيات عن استماع القصة فيها، لاشتمالها على الخبر كله فأوجز كلام، وأبلغ حكاية، وأحسن تأليف، وألطف إيماءة.<sup>17</sup>

ونستشف من تعليق ابن طباطبا إدراكه للعملية التناسية من خلال:

1-إحالة داخلية من الأعشى على أبيات في القصيدة نفسها.

2-إحالة خارجية إلى الحكاية التي قام باقتصاصها.

تحققت للمتلقي متعتان، متعة تلقيه المعرفي لنصين متممين إلى جنسين مختلفين (الشعر والنثر)، ومتعة الإيجاز التي تمت به عملية التداخل الأجناسي في محاكاة الواقع التي يتضمنها الخبر أو الحكاية التاريخية. ويقول ابن طباطبا عن هذا التداخل بين الشعر والقصة: "إن من أحسن المعاني والحكايات في الشعر وأشدّها استفزازا لمن يسمعها، الابتداء بذكر ما يعلم السامع له إلى معنى يساق القول فيه قبل استتمامه، وقبل توسط العبارة عنه".<sup>18</sup>

ونستخلص من هذا القول الدال على التداخل بين القصة والشعر، الدعوة إلى إظهار الموروث إلى السطح وتفعيله والاستفادة منه معرفيا وجماليا، والنهوض بالقصيدة بمقومات جديدة تساهم في تطويرها البنياني والتمثيلي لجنسها.

لقد وافق الحاتمي (ت388هـ) ما جاء به ابن طباطبا، حيث تحدث عن "التداخل الأجناسي القصصي" في كتابه "حلية المحاضرة"، وأفرد له جانبا بعنوان: "أوجز شعر تضمن قصصا"<sup>19</sup>، وناقش ما ناقشه ابن طباطبا في قصيدة الأعشى.

كما عالج أبو هلال العسكري القضية نفسها باهتمام، ونلمح ذلك في كتابه "كتاب الصناعتين"، وتحت عنوان "في معرفة صنعة الكلام وترتيب الألفاظ" يأتي مصطلح التداخل الأجناسي في إطار اهتمامه بصناعة الكلام (الشعر والنثر)، وإن كان أكثر تركيزاً في خطابه النقدي على صنعة الشعر، إذ يعتبر قول "إن الشعر ديوان العرب وخزانة حكمتها ومستنبت آدابها ومستودع علومها"<sup>20</sup>، دليل على أن هذه التواريخ والوقائع ممارسات حياتية، وإن كان فيها فعلاً أسطورياً أو عملاً تخيالياً، فإن تداخل الحياتي الخيالي والجمعي بالفردى يجعلها تتحول إلى علامات في أشكالها السردية، تتمظهر في النصوص الشعرية ولكن العسكري يفترض مبدأ الالتئام والمشاكله بين شطري البيت الواحد، أو بين العناصر اللغوية والتركيبية والدلالية، هذا الالتئام يجب أن يحقق الهدف المرجو منه معرفياً وجمالياً، وبينه العسكري الشاعر أن يكون محترفاً في تركيبه للعناصر الدخيلة، والتي يمكن أن تقوده إلى ما لا يرغب فيه إذا لم يتمكن من التحكم فيها. لذلك ينبه أبو هلال العسكري إلى إحكام الصنعة واختيار القافية والرّوي والكلمات والتراكيب. قد تكون ألفاظ الحكاية وتراكيبها وطريقة نسجها ذات سلطة يمكن أن تفرضها على المبدع، فتدخل الحكاية بتراكيبها وألفاظها وأحداثها، دون تغيير أو تحويل، أو انتباه إلى ما هو سردي وما هو شعري فتفسد على المبدع صنعته، ونلفيه يقول في هذا الصدد: "إذا دعت الضرورة إلى سوق خبر أو اقتصاص كلام، فتنحتاج إلى أن تتوحيّ فيه الصدق، وتتحرى فيه الحق، فإن الكلام حينئذ يملكك ويحوجك إلى إتباعه والانقياد له، وينبغي أن تأخذ في طريق تسهل عليك حكايته فيها، وتركيب قافية تطيعك في استيفائك له"<sup>21</sup>. ويمكننا أن نستنتج من قول العسكري النقاط التالية:

- 1- يجب أن يكون الشاعر أميناً في محاكاته الواقع.
- 2- يجب أن لا تقيد المادة الأصلية حرية الشاعر.
- 3- يجب أن يقود المادة المختلطة في قافية يختارها مناسبة وحرف روي يستهويه.

نلاحظ أن العسكري غلب البلاغة على النقد لأنه اعتمد التحليل عوض التنظير، واهتم بالجزئيات من أجل الكليات، وقدم الجمالي على الدلالي، وحسن الرصف على الإطالة في الوصف.

ورد المصطلح - بعينه - عند ابن أبي الأصعب (585-654هـ) في كتابه "تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن"، هذا الكتاب يعتبر موسوعة في علم المصطلح، فقد أشار ابن أبي الأصعب إلى التداخل الأجناسي بتركيزه على "الإيجاز" و"المجاز" و ما يتعلق بهما من مصطلحات ذات صلة بالتداخل الأجناسي كالاتعارة والإشارة والتشبيه والإحالة. إن التداخل الأجناسي عند أبي الأصعب هو أن يقوم الكاتب بالإفادة من قصة سابقة عليه فيوظفها في نصه، ولكنه يسوقها في ألفاظ موجزة، مما يعني تقليده لكمية الألفاظ التي تشكل القصة الأصلية دون أن يخل بالمعنى الذي تشكله تلك القصة. وهنا يصبح التداخل الأجناسي القصصي مظهر من مظاهر بلاغة الإيجاز. ويورد ابن أبي الأصعب قصة سيدنا موسى عليه السلام مثال اختصار في سور القرآن .

إن مصطلح التداخل الأجناسي القصصي قد استفاد عبر المقارنة بينه وبين مصطلحات أخرى ساقها ابن أبي الأصعب مثل مصطلح "المساواة" حين قارنه مع مصطلح الإيجاز، ويقصد المساواة عند الأخذ من القصة بينها وبين القصيدة المتناسفة معها في المعنى، أما الإيجاز فيكون في الأبيات من حيث التراكيب والألفاظ فيقول: "إن المساواة لا تكون إلا في المعنى المفرد، يعبر عنه بلفظ له، لا يزيد عليه ولا يقصر عنه، والإيجاز يكون في ذكر القصص والأخبار التي تضمنت معاني شتى متعددة، وخلاصة ذلك أن المساواة في معاني الجمل التي تتركب الأبيات والفصول، والإيجاز في الأبيات والفصول"<sup>22</sup>.

أما حازم القرطاجني (608-684هـ)، فقد تطرق لمصطلح التداخل الأجناسي في كتابه "منهاج البلغاء وسراج الأدباء" ذلك في سياق تناوله المفصل لنظرية المحاكاة حيث سعى إلى صياغة نظرية متكاملة في الشعر تجعل من المحاكاة

الصيغة الشاملة المؤثرة في جميع عناصر التنظير، ويتجلى ذلك في موقفه من اعتماد الشعر على مادة قصصية متشكلة في أشكال سردية مقبولة في إطار الثقافة العربية. إذ يرى حازم أن هناك مجموعة من الإضافات والسّمات وطرائق الصياغة، والضروب الفنية والجمالية التي تظهر عند التعامل مع المادة الشعرية، أو مادة المحاكاة، ويحدد القرطاجني تلك المجموعة بأنها (كثرة الحكم والأمثال والاستدلالات واختلاف ضروب الإبداع وحسن التصرف والتبحر في المعاني)، كما يرى الناقد أن كثرة استخدام القصص في الشعر ضرورة، وذلك للتأثير في المتلقي، من خلال وسائل الصياغة التي تجعل من القصيدة عملا فنيا، فالمحاكاة يتضح حسنها في الأوصاف حسنة التناسق، الجيدة التفصيل، وفي القصص الحسنة الاطراد، وفي الاستدلال بالتمثيلات والتعليقات، وفي التشبيهات والأمثال والحكم، لأن هذه جوانب من الكلام قد جرت العادة في أن تعطى فيها أهمية لهيات الألفاظ والمعاني وترتيباتها.<sup>23</sup> وقد نبه حازم إلى حسن وصف القصص، وحسن صياغتها، وحسن تتابع حوادثها، ويردّف هذا التنبيه بقوله: "القول ينقسم إلى محاكاة قصص وما جرى مجراه، وإلى محاكاة حكمة، وإلى محاكاة قصص بقصص أو نحوه وإلى محاكاة قصص بحكمة، ومحاكاة حكمة بحكمة، ولا تحاكي الحكمة بالقصص إلا حيث تكون جزئية لأن الحكمة إذا كانت كلية كانت أعم من القصص، فلا تحاكي لذلك به إلا على جهة الاستدلال التمثيلي"<sup>24</sup>.

إن الموقف الذي شكله حازم من القصص ينطوي على تقدير للأدوار في يمكن أن تقوم بها القصة في المحاكاة، مما يتجلى في قدرة القصص على تقديم صورة ذات شمولية لما تحاكيه من أوضاع أو مواقف، بما يهيئ للمتلقي تملكها، وما ينطوي عليه من أفكار أو قيم، يمكن صياغتها في صيغة فلسفية، تستلزم بذل جهد من قبل المتلقي، على حين أن صياغتها في إطار القصص، تعني تيسير المهمة لدى المتلقي.

هذا ما جعل حازم يحلل العلاقة بين أنواع المحاكاة من ناحية، واعتماد القصيدة على القصص من ناحية أخرى، كما قاده الأمر إلى التفريق بين الإحالة والتداخل الأجناسي القصصي الصريح وميز بين محاكاة تامة ومحاكاة ناقصة، فالمحاكاة التامة هي استقصاء تام لعناصر الحكاية، في حين تتجلى المحاكاة الناقصة في الإفادة من بعض العناصر القصصية الواردة في القصة أو الخبر، حيث يقول: "إن ملاحظات الشعراء الأفاضل والأخبار المستطرفة في أشعارهم ومناسبتهم بين تلك المعاني المتقدمة والمعاني المقاربة لزمن وجودهم، والكائنة فيها التي بينون عليها أشعارهم مما يحسن في صناعة الشعر. ويجب على الشاعر أن يعتمد من ذلك المشهور الذي هو أوضح في معناه من المعنى الذي يناسب بينه وبينه، ويعلقه على طريق التشبيه أو التنظير أو المثل أو غير ذلك. ويسمى ما تسبب إلى ذكره من القصص المتقدمة المأثورة بذكر قصة أو حال معهودة الإحالة، لأن الشاعر يحيل بالمعهود على المأثور"<sup>25</sup>.

كما يؤكد القرطاجني على وظيفة القصص، فهي أحسن شيء في الكلام، إذ تقوم بوظائف عديدة تأثيرية وانفعالية وترغيبية. وهكذا نجد أن الناقد سعى جاهداً لكشف عن العديد من ظواهر التميز التي تمتاز بها القصيدة التي تتخذ من تداخل الأجناس سبيلاً.

#### خلاصة:

هكذا نرى أن التداخل الأجناسي القصصي كان صيغة من صيغ التفاعل المنتجة للنصوص الأدبية، ومن خلال استعراضنا للخطاب النقدي العربي القديم استطعنا أن نلمس جانباً من جوانب الثقافة العربية، يتجلى في الكشف عن واحد من عناصر جلاتها في ضوء تشكله المصطلحي واستقراره على دلالات تراوحت بين كونه فناً أو غرضاً وفق فهم "ثعلب" له، ثم انتقاله ليكون تأطيراً لصيغة من صيغ التداخل بين الشعر والأشكال السردية الأخرى، وقد تناولناه نقادنا القدماء من منحى جمالي، يراد به أداء وظائف تشكيلية وتأثيرية ينتبه فيها المبدع إلى إعادة تقديم

ما تتضمنه الأشكال السردية المقتضبة بطريقة أكثر إيجازا يحقق فيها لمنجزه جمالية صيغية على أكثر من مستوى دلالي وتركيبية، مثلما كان عليه الحل في نقد "ابن طباطبا" والعسكري والحامدي وابن أبي الإصبع وحازم القرطاجني، وقد تمت مقارنة مصطلح التداخل الأجناسي القصصي - إن لم يرد بهذه التسمية التي ارتأيناها له ووجدناها الأكثر تعبيرا عما يحدث من تفاعل بين جنس القصة والأجناس الأخرى- من أكثر من جهة وزاوية، وتمت مقارنته بأكثر من مصطلح في مجال اشتغاله إلى أن وصلنا إلى المحاكاة، وعرفنا أن المبدع يحاكي القصة، وهذه المحاكاة تكون تامة وجزئية، وعرفنا كيف يتم إدماج عناصر غير شعرية (سردية) بعناصر من أجناس أخرى، هذا الدمج للأجناس التي تقف خلف نصوصها يتم بحرفية عالية، تمكن المبدع من السيطرة على كل العناصر الدخيلة، والتنبه لمسائل اختيار الألفاظ والتراكيب والجمل من القصة المحاكاة، وحسن اختيار عناصر القصيدة الأخرى من قافية وحرف روي، لتخرج القصيدة أو النص المتناسق بأحلى حلة، كاملة الخلق منسجمة العناصر، مما يحقق لها وللمتلقي كسبا معرفيا وفنيا من جهة، ومن جهة أخرى يخلق نوعا جديدا: جنسا مختلطا ينهض على القراءات التي تعيد لوسط التفاعل الجناسي حيويته، باحثة عن شعرية قوامها التفاعل القائم على التصريح حيناً، وعلى الإيحاء حيناً آخر منتبهة لحدود الأجناس ضمن اختراقاتها راصدة مسالك عبورها. وبالتالي يمكننا القول أن النقاد العرب عرفوا جنس القصة وعرفوا عناصره واهتموا به اهتماما كبيرا، وعرفوا أيضا مسألة دخول القصة في تفاعل مع الأجناس الأخرى، ورصدوا لذلك مصطلحات قريبة من مصطلح "التداخل الأجناسي القصصي" وأبدوا رأيهم في هذا التداخل ورسموا حدوده ورصدوا ضروراته.

هوامش:

<sup>1</sup> حمادي صمود: تجليات الخطاب الأدبي، قضايا نظرية، دار قرطاج للنشر والتوزيع، تونس، ط 1، 1999، ص 85.

- <sup>2</sup> الأمين بن مبروك: الأجناس الأدبية من الضبط إلى العبور، مقالات وفصول مترجمة، مقال لجرار جنيت، مكتبة علاء الدين، صفاقص، تونس 2008.
- <sup>3</sup> حميد حميداني: السرد والحوار، مجلة دراسات سمائية وأدبية ولسانية، المغرب، العدد 3، 1988، ص148.
- <sup>4</sup> رشيد مجايوي: نظرية الأنواع الأدبية، مجلة الفكر العربي المعاصر، العدد 76، 1999، ص127/126.
- <sup>5</sup> أحمد مطلوب: معجم مصطلحات النقد العربي، ج 1، 212/209.
- <sup>6</sup> ابن أبي الأصبغ المصري: تحرير التحرير في صناعة الشعر والنثر، تح: حفي محمد شريف، ص422.
- <sup>7</sup> ابن فارس: ألصاحبي في اللغة، تح: السيد أحمد صقر، مطبعة عيسى البابلي الحلبي، القاهرة، 1977، ص339.
- <sup>8</sup> الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج 3، مكتبة دار التراث، القاهرة، ص297.
- <sup>9</sup> ابن رشد: تلخيص الخطابة: تح: عبد الرحمان بدوي، ص 322/316.
- <sup>10</sup> أبو حيان التوحيدي: المقابسات: تح: حسن السندي، دار المعارف للطباعة والنشر، (د ت)، سوسة تونس، ص 137.
- <sup>11</sup> المصدر نفسه، ص ن.
- <sup>12</sup> نحلة فيصل الأحمر: التفاعل النصي، الهيئة العامة لقصور الثقافة، مصر، ط 2، 2010، ص 245/219.
- <sup>13</sup> نعلب أبو العباس أحمد: قواعد الشعر، شرح وتعليق محمد عبد المنعم خفاجي، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1996، ص 06.
- <sup>14</sup> محمد القاضي: الخبر في الأدب العربي، دراسة في السردية العربية، منشورات كليات الآداب منوبة، 1998، ص 09.
- <sup>15</sup> ابن منظور جمال الدين: لسان العرب، تح: عبد الله الكبير وآخرين، ج 3، مادة خير.
- <sup>16</sup> ابن طباطبا العلوي(محمد بن أحمد): عيار الشعر، تح: محمد زغلول سلام، الإسكندرية منشأة المعارف، ط3، 1980، ص160.
- <sup>17</sup> المصدر نفسه، ص85.
- <sup>18</sup> نفسه، ص55.
- <sup>19</sup> الحاتمي: حلية المحاضرة في صناعة الشعر، تح: جعفر الكناني، بغداد دار الرشيد للنشر، 1979، ص367/366.

- <sup>20</sup> أبو هلال العسكري: كتاب الصناعتين (الشعر والنثر)، تح، علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، دار إحياء الكتب العربية، عيسى الباي الحلبي، القاهرة، 1952، ص137.
- <sup>21</sup> المصدر نفسه، ص138.
- <sup>22</sup> ابن أبي الأصبغ المصري: تحرير التعبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، ص462.
- <sup>23</sup> المصدر نفسه، ص98/97.
- <sup>24</sup> نفسه، ص189.
- <sup>25</sup> نفسه، ص189.